# مقدمة

## الثقافة تبدأ بالطفل

obeikandl.com

obeikandl.com

منذ سنوات طويلة . . وأنا أوجه جانباً من جهدي إلى ميدان الطفولة ـ دراسة وإبداعاً ـ واضعاً أمامي هدفاً محدداً واضحاً هو الإسهام فى محاولة إعادة الطفل إلى شخصيته العربية المتكاملة بكل ما يشمله هذا الإطار من العناصر التربوية والثقافية المختلفة . .

ويبدو أن الأمر لم يكن بهذه البساطة التى أسوقها فى كلمات قليلة . . ولهذا فإن جهداً مخلصاً منى ومن غيرى . . كان ينبغى أن نتحمله من أجل تحقيق هذا الهدف . .

وكما ذكرت فى موضع آخر أنه بغير الإخلاص والعلم . . لا يمكن أن نصل ببساطة إلى وجدان الطفل . . ذلك المخلوق الذى لا يعرف الرياء إلى قلبه سبيلاً . . فإذا شاهد مسرحية لا تعجبه تململ فى مقعده . . وإذا شاهد فيلماً رديئاً فضّل عليه النوم . . وإذا قرأ كتاباً مملاً أو مجافياً للحقيقة تركه . . ! ذلك هو الطفل

القارىء النقَّاد . . المشاهد النقاد . . ومن هنا كان التعامل مع الطفل يتسم بحساسية دقيقة ويطرح عدداً من الأسئلة ـ خاصة فى مجال الكلمة المكتوبة ـ أهمها : من يكتب . . ولمن نكتب وماذا نكتب . . وإلى أى شىء نهدف . . ومتى نقدم الكتاب للطفل . . وكيف نقدمه وما اللغة المناسبة لمراحل الطفولة . . إلى آخر علامات الاستفهام المعروفة[1] .

وما أقدمه اليوم . . محاولة أخرى لغرس ما أراه من علامات مهمة على طريق التربية الثقافية . . باعتبار أن الثقافة تبدأ بالطفل وليس بالكبير . . فإذا لم يتيسر لنا ذلك صعب على الطفل استيعاب الثقافة بنفس الاحتشاد والشوق الذى نراه فى مرحلة الطفولة الباكرة . .

وسوف أبدأ محاولتى هنا بتمهيد تاريخى أنبش فيه بإيجاز ذاكرة التاريخ فى مجال التربية حتى يتسنى لنا أن نضىء الطريق إلى عصرنا . . باعتبار أن الموج لا يأتى من العدم . . وأن التاريخ رَحِم للحاضر . . والمستقبل . . وأن ما نؤكده اليوم إنما يمثل طوابق متعددة لما أسسه من قبل إجدادنا . .

وسوف نقفز أفواهنا ونحن نمر ببعض العلامات التاريخية التى تمتد بآثارها وظلالها وأضوائها إلى الحاضر والغد . . وكأنها

---

(١) أنظر كتابنا : أطفالنا فى عيون الشعراء ص ٢٨ وما بعدها . . ففيه محاولات للإجابة عن كثير من هذه الأسئلة . . دار المعارف ١٩٨٧ (اقرأ) .

علامات وضعت اليوم فى عصر العلم والفكر والتكنولوجيا الحديثة .

وبعد أن أنتهى من أهم العلامات التاريخية لدى الشعوب والمفكرين . . رأيت أن أسوق عدداً من المفاهيم التى تفيدنا فى محاولتنا هذه . . ولا تنفصل عن تحقيق الهدف إذا اتفقنا عليها . .

ثم عرضت أهم مصادر ثقافة الطفل العربى . . وكيف يمكننا أن ننقّى ونختار منها ما يتلاءم مع شخصية أطفالنا . .

وكان لابد أن أعرض ألوان الثقافة الموجهة لطفلنا العربى . . فى إطار الرؤية والرأى والتعليق . . وصولاً إلى اطارات آمنة حكيمة ترضى وتبنى شخصية الطفل العربى . .

وأنهيت محاولتى بالإجابة عن سؤال ملح هو : ماذا يريد منا أطفالنا . . فمن غير المعقول أن نقيم ثقافة لأطفالنا من وجهة نظرنا نحن . . دون أن نتعرف آراء الطفل ـ المستهلك الأول لسلعة الثقافة ـ على حد تعبير رجال الاقتصاد والتجارة . .

إن الإجابة الموضوعية الأمينة عن هذا السؤال كفيلة بإقامة ثقافة عربية جيدة لأطفالنا تتسم بالعطاء والمرونة والتفتح على كل الثقافات الإنسانية فى توازن رائع . .

أحمد سويـلم